مفهوم الروح والنفس والموت والوفاة

الروح والنفس عند فلاسفة الإغريق

كان سقراط مقتنعًا أنه بالإضافة إلى أجسادنا المادية ، يمتلك كل شخص نفسا خالدة تعيش بعد موت الجسد. فَهِم أرسطو النفس على أنها مبدأ الحياة في كائن حي. فهي كل ما يجعلك حيا لا ميتا .

تقسم نظرية أفلاطون النفس إلى ثلاثة أجزاء. هناك جزء شهية يتعامل مع الرغبات الجسدية ، وجزء مفعم بالحيوية ، يتعامل مع المزيد من المشاعر الانعكاسية ، والجزء العقلاني الذي يتعامل مع التفكير والحقيقة. تتحدث نفسك عن حياتك الداخلية فيما يتعلق بتجربتك الخاصة: عقلك وقلبك وإرادتك وخيالك. تتضمن أيضًا أفكارك ورغباتك وشغفك وأحلامك. لكن روحك تتحدث عن نفس الحياة الداخلية فيما يتعلق بالله: إيمانك ورجائك وحبك وشخصيتك ومثابرتك.

أطباء أعصاب الدماغ يقولون :النفس هي المكان الذي تكمن فيه العاطفة والدافع ، حيث يحدث النشاط العقلي ، وتُدرك

الأحاسيس ، وتخزن الذكريات ، ويحدث التفكير واتخاذ القرارات. هناك عضو يؤدي بالفعل هذه الوظائف: الدماغ.

الروح والنفس عند فلاسفة الإسلام

القرآن الكريم يفيض بالآيات التي تتحدث عن الروح في خلودها وثوابها وعقابها، كما يفيض بالظواهر التي تتفق مع العلم الروحي الحديث، ومثله الأحاديث النبوية الشريفة...

حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون وأرسطو للنفس. فهو يقول كأفلاطون أن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وأنها لا تفنى بفناء البدن، وأن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي...

وها هو الفيلسوف الطبيب ابن سينا الذي يُعد إمام فلاسفة المسلمين في دراسة النفس، يقيم الأدلة الكثيرة على وجود النفس وعلى خلودها بعد الموت.

ثم يجيء دور فيلسوف آخر هو الإمام أبو حامد الغزالي... فنجده يتحدث عن النفس والروح ويفرق بينهما: "فالنفس لديه هي ذلك الجوهر الذي يجمع بين العالَمين، وهما عالم العقل أي العالم الإلهي وعالم الحس أي العالم المادي. وقد وصف الغزالي هذين العالمين على نحو قريب جداً مما فعل أفلاطون، بل ذهب إلى أن العالم الثاني ظلٌ وخيال للعالم الأول، إذ يقول أن الرحمة الإلهية جعلت عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت، لأنه لا يوجد شيء في العالم الأول إلا

وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة..."

وانحاز ابن رشد صراحة للإمام الغزالي قائلاً: "وما يقوله هذا الرجل جيد.. ولا بد أن نوضح أن النفس غير فانية كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية. ويوضح أن التي تعود هي أمثال هذه الأجسام التي كانت في هذه الدار لا هي بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص. فهو يتحدث عن الجسد الأثيري، وهو مثل الجسد المادي، وهو الذي تعود إليه النفس في الدار الأخرى.

{42}اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

يقول المفسرون :الله- سبحانه وتعالى- هو الذي يقبض الأنفس حين موتها وهذه هي الوفاة الكبرى، وفاة الموت بانقضاء الأجل. ويقبض التي لم تمت في منامها وهي الموتة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس مَن مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها. إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لَدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

قال ابن القيم: " إن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وإن ذلك يَحدث لرُوحه وبدنه، وإن الروح تَبقى بعد مُفارَقة البدن مُنَعَّمَةً أو مُعَذَّبَة، وإنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل لها معه النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواحُ إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين". أما بالنسبة لسؤال القبر فذهب البعض إلى أنه يقع على الروح فقط من غير عَوْد إلى الجسد، وخالفهم الجمهور فقالوا: تُعاد الروح إلى الجسد أو بعضه، ولو كان السؤال على الروح فقط لم يكن للبدن اختصاص، ولحديث عن عثمان قال: كان النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا فَرَغَ من دفن الميت وقف عليه فقال: "اسْتَغْفِروا لأخيكم وسَلوا له التثبيتَ، فإنه الآن يُسأل. (رواه أبو داود والحاكم) وحديث آخر عن ابن عباس أن النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: "السلام عليكم يا أهلَ القبور يَغْفِر الله لنا ولكم أنتم سَلَفُنا ونحن بالأثر" (رواه الترمذيّ).

وفي تفسير آخر للدكتور شحرور يقول: علينا التفريق بين الموت والوفاة، فالموت للبشر والوفاة للإنسان، أي الموت للجسد، أي للنفس البشرية التي تدفن في القبر، أو تغرق في البحر، أو تأكلها الوحوش، أو تحرق، بينما الوفاة للنفس الإنسانية، هي منام أثناء النوم أو أثناء الموت. هي منظر كالمنام يراه الإنسان لحظة الموت، حيث لا رجعة للدنيا، وهذا المنظر يمكن أن يكون مريحاً أو مزعجاً، تبعاً لعمل الإنسان. وهذا ما ذكره الله تعالى {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ* فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ* تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ* فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} (الواقعة 83-94).

وعليه نفهم الآية {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر 46) فهي تشرح أن الحساب والثواب والعقاب يوم تقوم الساعة، لكن صورة المصير تبقى ثابتة، وكل ذلك بالنسبة للميت هو كالنوم.

وفي رأي الباحث سامر الإسلامبولي

الموت: هو فقدان الفاعلية والحركة الذاتية. {وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ }يس33، فإحياء الأرض هو إرجاع الفاعلية والإنتاج لها. والموت يظهر بصورتين

- مادية: مثل توقيف حياة الشيء وفاعليته كلياً دون تدخل الإنسان.
- ومعنوية: مثل الإنسان الفاقد للفاعلية ومعطل التفكير والحواس، فهو حي في جسمه، ميت في نفسه.

الحياة: كلمة تدل على فاعلية ذاتية وحركة منضبطة منتجة، وتظهر بصورتين:

- حياة مادية: متعلقة بصلاحية وفاعلية الشيء ذاتياً. مثل الكائنات الحية.
- حياة معنوية: متعلقة بفاعلية الإنسان ثقافياً وإنتاجياً بشكل صالح وإيجابي، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }الأنفال24.

الجسم: هو اسم للقوة والحركة الحرة المجتمعة باتصال في كيان واحد. يستخدم التعبير عندما يكون الانسان حيّا

الجسد: هو اسم للقوة والحركة الحرة المندفعة بشدة. يستخدم التعبير عندما يكون الانسان ميتاً

- إذاً؛ الذي خرج من جسد الإنسان ونحن ننظر إليه هو نفسه، فالنفس هي محل التوفي، وهي التي غادرت الجسد وتركته خلفها، فالجسم مات، والنفس توفيت، وموت الإنسان هو خروج نفسه من جسده، والذي يحصل بعد ذلك هو خروج جنازتين:
- أحدها: خروج الناس حاملين الجسد إلى المدفنة (المقبرة الترابية) لدفنه في التراب ومن ثم يتحلل الجسد إلى عناصره الأولى الترابية، من التراب وإلى التراب.

- الثانية: تحمل الملائكة النفس وتذهب بها إلى المقبرة البرزخية (مستودع للأنفس) ويتم الاحتفاظ بها إلى يوم البعث والنشور، {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعونِ }{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }المؤمنون100

- إذاً؛ النفس لا تهلك أو تفنى أو تتحلل إلى عناصر خلقها، وإنما تبقى في حالة سُبات وانتظار في ما وراء البرزخ دون الشعور بمرور الزمن أو طوله.

وصلنا إلى أن الوجود الإنساني يمر في بضع مراحل:

- مرحلة الحياة الدنيا: وهي مرحلة خلافة واختبار وابتلاء.

- مرحلة الموت: وهي الخروج من الحياة الدنيا إلى مرحلة الانتظار والسُبات.

- مرحلة البعث والنشور والحساب: وهي مرحلة إرجاع النفوس إلى أجسام جديدة لتعود الحياة الفاعلة الواعية للنفوس وبدء الحساب.

- المرحلة الرابعة والأخيرة: هي مرحلة الثواب والعقاب المتمثل بالجنة أو النار

إذاً؛ المقتول في سبيل الله ليس ميتاً ،وإنما هو حي يُرزق عند ربه في حياة برزخية مختلفة عن الحياة الدنيا، وهو الآن خارج الحياة الدنيا ومقطوع الصلة بها أو التواصل، وسوف يموت لاحقاً بالأمر الإلهي بالموت العام لكل الكائنات الحية. فالمرحلة الثانية للإنسان بعد مغادرة الحياة الدنيا مختلفة بصورها حسب وسيلة خروج الإنسان من الحياة الدنيا، فمن خرج مقتولاً في سبيل الله فهو ينتقل انتقالاً من حياة إلى حياة، ومن جسم ترابي إلى جسم برزخي يصلح للمرحلة الحالية ليستخدمه في تلقي الرزق والعيش به، فهل يوجد صور أخرى للحياة في مرحلة البرزخ لغير من يُقتل في سبيل الله؟

- {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ} غافر46

- }فَكَيفْ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ {محمد27

- وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ الأنعام93.

- { وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ }القصص78،

ففرعون وأتباعه والمجرمون لا يُسألون عن ذنوبهم لوضوحها وخُبثها وشدة ضررها على الناس وظهور أثارها في المجتمع، فهؤلاء لا احترام لهم ولا حقوق تحفظ ولا تطولهم الرحمة. أما العصاة من عامة الناس فيرون أعمالهم ونتيجتها وقبحها وسوئها فيصيبهم غماً وحزناً فتثبت هذه

الصورة القبيحة في نفوسهم وهم في حالة السُبات في قبرهم البرزخي إلى أن يأذن الله بقيام الساعة. وكذلك يرى المؤمنون والصالحون نتيجة أعمالهم وحسنها فيصيبهم السرور والسعادة وتثبت هذه الصورة إلى أن يأذن الله بقيام الساعة. فالنعيم والعذاب للإنسان الميت متعلق بنفسه وليس بجسده، وفي القبر البرزخي وليس بالقبر الترابي. انتهى رأي الباحث سامر الاسلامبولي.

وكما نرى أن هناك اختلافا في تأويل الآيات المتعلقة بهذا الموضوع. وبعد تدبُّر هذه التأويلات وغيرها، أرى أن كُلاً منها عالج الموضوع من زاوية معينة، يمكن اعتبار تأويله قريبا من الصواب من تلك الزاوية، ولكني أرى أن موضوع النفس يجب أن يدرس من عدة زوايا تشمل عملية التعلم واكتساب البيانات ومعالجتها بتحليلها وربطها مع بعضها لتؤدي في النهاية إلى اتخاذ القرارات التي تحدد السوك والأعمال. وحيث أن موضوع الروح والنفس والحساب يوم القيامة من الغيبيات التي علمها النهائي المطلق عنده سبحانه العليم الخبير، وحيث أن ما ورد بشأنها في التنزيل الحكيم يقع تحت الآيات المتشابهات التي يُمكن لتأويلها الاستفادة مما توصلت اليه العلوم والعقل والمنطق ضمن منظومة النهج القرآني، فإنني أعرض هنا ما توصلت إليه من فهم اعتقد أن فيه درجة جيدة من الصواب .

أبدأ بدراسة ما توصل اليه علم الطب ثم عرض النتائج على ما ورد في القرآن لرؤية فيما إذا كانت العلوم تساعد على تقديم دلائل تساعد على فهم تأويل الآيات.

1(من وجهة نظر الطب البشري:

أ) خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، فمن الناحية البشرية جهَّزه بأعضاء تؤهله للقيام بجمع ما يلزمه للقيام بوظيفة الخلافة في الأرض: الجهاز الهضمي، الجهاز الدوري من القلب والأوعية الدموية، لجهاز التنفسي، الجهاز الصوتي، الجهاز العصبي، .....وغيرها. وسنركز على الجهاز العصبي لما له من علاقة ببحثنا.

ب) الجهاز العصبي وهو جهاز السيطرة في الجسم والذي يتحكم في عملية فهم المعلومات واتخاذ القرار ولتنظيم وظائف الجسم عبر التحكم في العمليات الداخلية في العضلات والغدد، ويتكون من الدماغ والحبل الشوكي الذي يكون الجهاز العصبي المركزي، والأعضاء الحسية والأعصاب المكونة للجهاز العصبي المحيطي وتكون مرتبطة بأعضاء الجسم الأخرى. ولنأخذ الدماغ بمزيد من التفصيل.

ت) الدماغ هو العضو الرئيس في الجهاز العصبي وهو أكبر وأكثر الأعضاء تعقيدا بالجسم ويتكون من 100 مليار (نيورون) خليةٍ عصبيةٍ ووزنه 1.5 كيلو غرام. والنيورون عبارة عن خلايا داخل الجهاز العصبي تنقل المعلومات إلى الخلايا العصبية أو العضلات أو خلايا الغدة.

تحتوي معظم الخلايا العصبية على جسم خلوي ومحور عصبي وأغصان متفرعة. أما الدماغ فيقسم لثلاثة أقسام: المخ، جذع الدماغ، والمخيخ

ث) المخ :(Cerebrum) هو الجزء الأكبر من الدماغ، يملأ معظم الجمجمة ويقسم إلى نصفين: الأيمن والأيسر و تجري في أقسام المخ عمليات متنوعة أبرزها: التفكير الواعي وصنع القرار، والذاكرة، واللغة، والتواصل والإدراك

كيف يخزن الدماغ المعلومات؟

يقوم الدماغ بتخزين المعلومات في الذاكرة عبر طريقين؛ أحدهما يُدعى بالذاكرة قصيرة المدى؛ إذ تتم معالجة المعلومات المخزنة في الذاكرة قصيرة المدى في الجزء الأمامي من الدماغ وتحديدًا في منطقة الفص الجبهي .(Pre-frontal lobe) وبعد ذلك تُترجَم الذاكرة قصيرة المدى إلى ذاكرة طويلة المدى في منطقة الحُصين(Hippocampus) ، وهي منطقة موجودة على عمق كبير في الدماغ البشري. يأخذ الحُصين ذكريات متزامنة من مناطق حسية مختلفة في الدماغ ويربطها ضمن جزء واحد من الذاكرة. بذلك تتشكل الذاكرة، وعندئذ تبدأ المعلومات بالتدفق من القشرة التي تُشكّل منطقة دماغية غنية بالخلايا العصبية، إلى الحُصين الذي يُمثل نقطة التحول المركزية للذكريات في الدماغ. أمّا عندما نحاول استعادة معلومة ما من ذاكرتنا فسيكون اتجاهها معاكسًا لذلك، أي من الحُصين نحو القشرة. يحدث الاكتساب والاستدعاء عندما يكون المرء مستيقظاً. ولكن دمج والتصاق المعلومات وترسيخها في الدماغ، يحصل أثناء النوم.

وفي آخر اكتشاف أثناء دراسة ماذا يحدث في الدماغ في لحظات الموت، اكتشفوا وجود موجات دماغية لمحتضر تظهر أنه يمر بما يشبه الحلم قبل الموت. ومع أن الدراسة كانت على مريض واحد، إلا أن هذا الاكتشاف يحفز العلماء على إجراء مزيد من الدراسات.

ما هي سعة تخزين ذاكرة الدماغ البشري؟

تتميز سعة تخزين ذاكرة الدماغ البشري بمساحة كبيرة؛ إذ يمكنها تخزين ما يقارب تريليونات متعددة من المعلومات.

وبحسب دراسة نشرتها الصحيفة الإلكترونية "إي لايف"- أن العقل البشري يمكنه تخزين ما يفوق مليون غيغابايت من البيانات، وهو ما يقدّر بنحو 4.7 مليارات كتاب، أو 670 مليون صفحة ويب

كيف يقوم الدماغ بمعالجة معلوماته؟

تبدأ معالجة المعلومات في الدماغ من نقطة الانطلاق، وهي المدخلات التي تمثلها الأعضاء الحسية في جسم الإنسان، وهي الأعضاء المسؤولة عن ترجمة المُحفزات المادية كاللمس أو الحرارة أو الموجات الصوتية أو فوتونات الضوء وتحولها إلى إشارات كهروكيمائية؛ ويتم

تحويل المعلومات الحسية بصورة متكررة في الدماغ بالاتجاهين من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى .

عملية اتخاذ القرارات:

ا) استقبال المعلومات :

-من مصادر خارجية عن طريق الحواس الخمسة :

أجهزة الاستشعار : الأذن، العين، الأنف، الجلد، اللسان

الوظائف : السمع، البصر، الشم، اللمس، الذوق

-من مصادر داخلية: المعلومات المخزنة سابقا في الذاكرة

يتم نقل المحفزات من كل جهاز استشعار في الجسم إلى أجزاء مختلفة من الدماغ من خلال مسارات مختلفة. فتبدأ من "قشرة الفص الجبهي"، التي تقع مباشرة تحت الجبين، وتنتهي عند القشرة الجدارية فوق الأذنين. تساعد القشرة الأمامية للإنسان في التوسط في الذاكرة العاملة ، وهو نظام يستخدم للتخزين المؤقت ومعالجة المعلومات ويشارك في العديد من الوظائف الإدراكية العليا. يساعد الفص الأمامي الأشخاص في تبويب المعلومات وتصنيفها وتمييز عنصر عن آخر. تنتقل المعلومات الحسية من الجهاز العصبي المحيطي إلى الجهاز العصبي المركزي. يتلقى هيكل الدماغ المسمى المهاد (thalamus) معظم الإشارات الحسية ويمررها إلى المنطقة المناسبة من القشرة الدماغية ليتم معالجتها.

التدبر في فهم آيات القرآن

1. مصطلحات في القرآن الكريم:

اللوح المحفوظ: هو بمثابة برنامج القوانين الناظمة للوجود لقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} (البروج 21-22)

الإمام المبين: هو أرشيف الإنسانية من يوم خلقها الله عزّ وجلّ إلى يوم الدين، أي أرشيف الأحداث التاريخية الإنسانية الفردية والجماعية إلى قيام الساعة، لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (يس 12)

الروح: هو نظام سنني، يحكم المادَّة بصُورة لازمة، ومن ثم؛ فالكون هو كائن رحماني وضع الله له برنامج القوانين الناظمة للوجود في اللوح المحفوظ. وبما أنَّ الكائنات الحية، هي كائنات

رحمانية أيضاً، فوضع الله لها قوانين ناظمة لحياتها. فعندما قال تعالى "ونفخت فيه من روحي" أي فعّلت للإنسان الأوامر والتعليمات التي تنظم حياته .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: بأي صيغة توجد هذه البرامج والسجلات؟ قد تكون على شكل موجات صوتية أو نبضات كهرو مغناطيسية أو كهروكيميائية، والعلم المطلق عند الله.

2. ورد في القرآن ذكر لأعضاء في الجسم كما ورد ذكر لوظائف بعض الأعضاء ويجب التفريق في كيفية استعمال هذه المفردات: فالأذن وظيفتها الإسماع، والعين وظيفتها الإبصار، والقلب كعضو وظيفته ضخ الدم في الجسم. ويأتي القلب أيضا دالا على وظيفة بمعنى عملية تقليب الأمور والأفكار وهي من وظائف الدماغ.

3. هناك مفردات وردت بصورة الفعل تدل على عملية مثل "تعقلون" مشتقة من جذر عَقَلَ بمعنى ربط، ومنها كلمة العقل والتعقل دالة على عملية ربط المعلومات والأشياء ذات العلاقة ببعضها. ومثل "يتفكرون" من جذر فَكَرَ بمعنى تفكيك المعلومات المتشابكة. ومنها الفكر والتفكر. فالفكر يقوم بالتفكيك والعقل يقوم بالتربيط للوصول إلى نتيجة. وكل هذه العمليات وما شابهها هي من وظائف الدماغ.

4. بعد ان يتلقى الدماغ المدخلات عن طريق الحواس بواسطة فص الجبهة الأمامي، تتم عملية تحويلها إلى إشارات كهروكيمائية وتبدأ عملية تبويب البيانات الخام القادمة من عدة حواس في آن واجد وتصنيفها وتمييز عنصر عن آخر، وفك التناقضات وتخليصها من الشوائب لاستخلاص المفيد منها - وكأنها بذلك تشبه عملية استخراج المعدن الثمين من التراب، فتقوم بصهر التراب الخام للتخلص من الشوائب لتحصل على المفيد - ومن ثم تخزينها في الذاكرة قصيرة المدى لاستعمالها في مواجهة الحالات التي تستدعي التصرف اللحظي والسريع دون انتظار المراحل اللاحقة من التعقل والتفكر. وهذه الوظيفة أطلق عليها في القرآن مصطلح الفؤاد .

5. بعد ذلك يتلقى هيكل الدماغ المسمى المهاد نتيجة العملية الفؤادية، ويمررها إلى المنطقة المناسبة من القشرة الدماغية ليتم تخزينها في الذاكرة طويلة المدى ومعالجتها من قبل الخلايا العصبية التي تقوم بتحليلها وربطها مع ما لديها من معلومات سابقة لاتخاذ القرار وتحديد السوك والفعل المناسب. ويتم تخزين القرارات والأفعال أيضا في الذاكرة لاستعمالها في حالات مماثلة في المستقبل. وبذا تحوي الذاكرة طويلة المدى أرشيف الحياة للإنسان محفوظا على شكل نبضات كهروكيمائية لحياة الإنسان يمثل شخصيته بما يحوي من مشاعره وأحاسيسه وعواطفه وأفعاله طيلة حياته، وهذا ما يطلق عليه مصطلح النفس .

6. العلاقة بين الروح والنفس هي علاقة البرنامج المنظم للحياة مع المعلومات التي تم أرشفتها بالدماغ. وهذا يشبه العلاقة بين نظام تشغيل الكمبيوتر وبين المعلومات المخزنة فيه.

الخلاصة: الحياة والموت والوفاة

1. قبل الأنسنة : كان البشر جاهزا بأعضاء تؤهله للقيام بجمع ما يلزمه للقيام بوظيفة الخلافة في الأرض. وكان الدماغ البشري هو العضو الرئيس في الجهاز العصبي وهو أكبر وأكثر الأعضاء تعقيدا بالجسم ويتكون من 100 مليار (نيورون) خليةٍ عصبيةٍ ووزنه 1.5 كيلو غرام. تحتوي معظم الخلايا العصبية على جسم خلوي ومحور عصبي وأغصان متفرعة تنقل المعلومات إلى الخلايا العصبية أو العضلات أو خلايا الغدة. فالجسم البشري فيه كل هذه الطاقات الكامنة الغير مفَعَّلة.

2. مرحلة الآنسنة: نفخة من روح الله زودت البشر ببرنامج بأوامر وتعليمات ناظمة لهذا الكائن الحي (نظام التشغيل)، فقام هذا البرنامج بتفعيل الخلايا العصبية، فأصبح انسانا قادرا عل التمييز واستقبال المعلومات ومعالجتها واتخاذ القرارات بحريته، وكلما زادت تجاربه في الحياة يقوم هذا النظام بتفعيل أكثر للخلايا العصبية.

3. فيما يلي الحالات التي يمر بها الإنسان:

- الإنسان حي يقظ :

o يستقبل معلومات عن طريق الحواس بواسطة فص الجبهة الأمامي، تتم عملية تحويلها إلى إشارات كهروكيمائية ويتم استدعاء المعلومات ذات الصلة من الذاكرة فتبدأ العملية الفؤادية بالمعالجة واتخاذ القرارات الفورية اذا لزم الأمر. فمثلا: اذا اقتربت يدك من النار فإن الفؤاد غريزيا ولحظيا يصدر الأمر بإبعاد يدك ولا ينتظر ليرسل المعلومات إلى الجهة الخلفية من الدماغ لتقوم بالتحليل الدقيق واتخاذ القرار.

o ومثل ذلك ما حصل مع أم موسى عليه السلام، لما وضعت الطفل في السلة ورمتها في النهر وبدأت تبتعد عنها وشعرت بالخوف الشديد، لم ينتظر الفؤاد لنتائج تحليل الخلايا العصبية المسؤولة عن التفكير، فكان فؤادها فارغا من هذه التحليلات، فكادت تتصرف غريزيا بأمر الفؤاد وتصيح وتولول وتحاول جاهدة لاسترجاع ابنها، فألهمها سبحانه بالصبر حتى تتمكن خلايا الدماغ من تحليل الموقف وتبعاته وحينها أدركت أن الله حافظه.

o ثم تنتقل المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى لاستعمالها لاحقا بالتواصل مع الخلايا العصبية لمواجهة أي احتمالات ،ومن ثم تحديد الفعل والسلوك. ويستمر ذلك يوما بعد يوم طيلة الحياة. ويتم تسجيل وتخزين المعلومات عن الأفعال الصادرة عن الإنسان لحظة وقوعها.

o وهذا ما أشار إليه سبحانه، يقول الله عز وجل : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) سورة ق/16-18. فلا يوجد ملائكة على كتفي الإنسان.

ولعدم قدرة الإنسان على فهم الحقيقة العلمية آنذاك فقد جَسَّد سبحانه الموقف ليتمكن الإنسان من فهم المغزى، وهو أن الله وضع في الدماغ هذه الخلايا للقيام بتسجيل أفعال العباد على شكل نبضات كهرو كيميائية (كتاب الحساب). وهو السجل الذي أشار اليه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49، وورد الكتاب بهذا المعنى في الكثير من الآيات.

- وبذلك يكون في الدماغ خزانا لكل أفعال وأحاسيس الفرد وبالتالي يكون هذا الملف (أرشيف الحياة/ النفس) المخزن في الخلايا العصبية ممثلا لكامل شخصية هذا الفرد. وهذه النفس هي التي تخضع للحساب حسب ما ورد في كتاب الحساب. وهو جزء من أرشيف الحياة مختص بأفعال النفس. ويكون الحساب على الأفعال ولا يدخل فيه النوايا والتخيلات التي لم تتحول إلى أفعال.

- يستمر الدماغ في العمل على ترتيب المعلومات داخل أرشف الحياة في الذاكرة البعيدة المدى ويستمر التواصل مع الذاكرة القصيرة المدى والعمليات الفؤادية، ومن نتائج التحليل وعمليات التذكر والتعقل يقوم نظام التشغيل المتحكم في الانسان بمراجعة وعرض لما عملت النفس ومقارنة تلك الأعمال مع ما لديه من التعليمات الإلاهية بشأن الحلال والحرام وطاعة الله فيتوصل إلى تقييم للنفس فيما إذا كانت راضية مطمئنة أو كانت أمارة بالسوء أو كانت حائرة لوّامة.

- الإنسان حي نائم:

- يستمر الدماغ داخليا في العمل على ترتيب المعلومات وتنظيفها من الشوائب
- الأحلام والأفكار والتخيلات التي يراها الإنسان أثناء النوم لا تُسَجل في (كتاب الحساب)
- حالة الموت عند مجيء الأجل"

- لقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف" 34 ،

وقوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ "آل عمران:145

(خروج الروح) يتوقف نظام التشغيل عن العمل

- (موت الجسم) يتحول الجسم إلى جسد يوضع في القبر ويتحلل إلى تراب كما بدأ . كما في قوله تعالى "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" طه 55.

- (وفاة النفس): الملائكة هي التي تتوفى الأنفس بإذن الله كما في قوله تعالى في الكثير من الآيات:

"وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" الأنفال50

" الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" سورة النحل32

" وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ" سورة الأنعام

نعلم ان الملائكة مخلوقات طاقة نورانية لا نراها ولا نعلم كيفيتها ولا كيف تتخاطب مع الإنسان، ونؤمن بقدرتها على التكيف والتواصل مع الإنسان كما أخبرنا تعالى في كثير من الآيات في نقلها للوحي إلى الأنبياء ومخاطبتها السدة مريم و إلهامها ام موسى بالصبر. فكيف تتوفى نفس الإنسان؟

- تحضر ملائكة الموت إلى من انتهى أجله

- تستخرج ملف كتاب الحساب من الأرشيف، وتعرضه على المحتضر بطريقتها الخاصة التي لا يعلمها إلا الله

- إذا شعر المحتضر بأن حصيلة أعماله إيجابية فإن نفسه تشعر بالطمأنينة

- إذا شعر المحتضر بأن حصيلة أعماله سلبية يشعر بالغم والحزن ويحاول المحاورة وابداء الأعذار

- تبقى الصورة التي كونها عن نفسه معه إلى يوم الحساب

- قد تكون هذه الصورة روح وريحان أو تكون صورة نار وعذاب

- تستخرج الملائكة ملف أرشيف الحياة المخزن على شكل نبضات كهروكيميائية في خلايا الدماغ والممثل لشخصية الإنسان وترجع بها حيث تبقى محفوظة في الإمام المبين لحين يوم القيامة والحساب.

بناء على ما تقدم شرحه:

- لا يوجد ما يطلق عليه موتة صغرى أثناء النوم. فالدماغ يبقى عاملا ونشطا أثناء النوم

- لا يوجد عذاب في القبر فالجسد تحلل إلى تراب

- لا يوجد حياة للنفس بعد الوفاة، فالنفس عبارة عن سجل حياة الانسان يحفظ في الإمام المبين

- يوم القيامة يخلق الله سماء وارضا غير السماء والأرض التي نعرفها، ويخلق الجنة والنار، ويبعث الأموات مرة أخرى للحياة بهيأة غير الهيأة في الحياة الدنيا (الله أعلم بأي صورة) لتتناسب مع الحياة في الجنة حيث لا موت بعد ذلك، وبقدرته تعالى تحل النفس في الإنسان بصورته الجديدة بنفس شخصيته التي كانت له في الحياة الأولى والتي كانت محفوظة في الإمام المبين، ويخضع للحساب عل ضوء سجل أعماله.

بهذا يصبح فهم الآية: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" أكثر وضوحاً.

تحصل عملية التوفي من قِبَل الملائكة وكأنها حلم بالنسبة للمحتضر. وقت وقوع الأجل تأخذ (تمسك) الملائكة سجل الحياة المخزن معلوماته في الخلايا العصبية في الدماغ. والذي لم يحن أجله بعد تترك نفسه عل حالها فليس هناك أخذ للنفس ثم ارجاع لها. وأعتقد أن الالتباس حصل من فهم كلمة "يرسل" وربطها بكلمة "يمسك" قبلها ففهمت على أنها عملية أخذ وإرجاع. مع أن جذر الكلمة يُرسِلُ هو رباعي "أرسَلَ" وفي المعجم : أَرْسَلَ الشيءَ: أَطلقه وأَهمله.

يقال: أَرسلتُ الطائرَ من يدي، ويقال أَرسل الكلامَ: أَطلقه من غير تقييد.

وفي الختام أؤكِّد أن كل هذه التأويلات تحتمل الصواب والخطأ بدرجات متفاوتة، وأن القارئ يختار ما يجده مُدعَّما بأدلة أقوى ضمن منهجية تدبُّر آيات القرآن الكريم وما يتوافق مع الواقع الموضوعي.